

مفهوم (العدل) في القرآن الكريم بحسب منهج التفسير التاريخي ونماذج من تطبيقاته في عصر الرسالة

أ.م.د. خطاب اسماعيل احمد
د. عبد القهار صبري عبدالله
قسم الدراسات الإسلامية/ فاكلوتي العلوم الإنسانية
جامعة زاخو

المقدمة

من المعلوم ان ترتيب القرآن الكريم في المصحف الشريف، هو ترتيب وفقى حسب ترتيب اللوح المحفوظ، وليس حسب الترتيب التاريخي في النزول، والمعروف أيضاً أن القرآن الكريم نزل منجماً، أي كل عدة آيات في الموضوع الواحد كانت تنزل معاً، ولمدة ثلاثة وعشرين سنة، منها (١٣) سنة في العهد المكي و(١٠) سنوات في العهد المدني، لمواكبة الدعوة الإسلامية، لذا فإنه ظهر بأنه يمكن معرفة المفهوم الدقيق للكلمات (المصطلحات) الواردة في القرآن الكريم، من خلال التتبع التاريخي لنزول الآيات القرآنية التي وردت فيها تلك المصطلحات.

لذا فإنه سُبُّحَت إن شاء الله تعالى كلمة (العدل) في القرآن الكريم حسب منهجه تقوم على أساس التفسير التاريخي للقرآن الكريم، وذلك بالرجوع إلى السور التي وردت فيها هذه الكلمة هل هي مكية أم مدنية، ومن ثم تنتبع تسلسلها في سور العهدين المكي والمدني وبيان تاريخ نزولها، وأسبابها مما يساعد على الفهم الدقيق لمعانيها، وبيان مفهومها المراد، ونورد بعدها نماذج من تطبيقات الرسول ص للعدل في حياته، مع النفس والأخرين، والقريب والبعيد، والصديق والعدو، والمسلم وغير المسلم، بل كان النبي ص عادلاً حتى في مسألة المزاح.

عمل جدول لكلمة (العدل) لبيان تسلسلها المعتمد في البحث، ومن ثم تسلسلها بحسب ترتيب النزول المكي فالمدنى، وعدد مرات ورودها في كلا العهدين، وتسلسلها في المصحف الشريف.

لقد وردت كلمة (العدل) ومشتقاتها ٢٨ مرة في القرآن الكريم، منها ١٣ مرة في العهد المكي، و ٥ مرات في العهد المدني.

تعريف القرآن المكي والمدنى^(١): هنالك ثالث تعریفات للمكي والمدنى ذكرتها كتب علوم القرآن الكريم، وهي:

أ. أن المكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بالمدينة، والمدنى ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة، وهو المشهور، إن هذا التعريف يراعي الترتيب التاريخي، وهو المنهج المتبع في هذه الدراسة، لذا سنعتمد.

ب. أن المكي ما نزل بمكة، والمدنى ما نزل بالمدينة.

ت. أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدنى ما وقع خطاباً لأهل المدينة.

فضلاً عن هذا فهناك تفصيلات أخرى للمكي والمدنى، لا يمكننا الخوض فيها، لأن ذلك سيكون على حساب الموضوع الرئيسي للبحث.

أولاً- العدل لغة:

لقد ذكرت كتب معاجم اللغة العربية معاني كثيرة لكلمة (عدل)، وقد تتجاوز عشرين معنى، حيث عرف المقرى العذل بأنه: القصد في الأمور وهو خلاف الجور^(٢). أما ابن منظور فقد قال في معنى العذل: أنه ما قام في النفوس أنه مُستقيم وهو ضدُّ الجُور، عذل الحاكم في الحكم يَعْدِل عَدْلًا وهو عادل^(٣).

(١) الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبي الفضل الديمياطي، دار الحديث (القاهرة: ٢٠٠٦)، ص ١٢٢؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: عبد الرحمن فهمي الزواوي، درا الغد الجديد (القاهرة-المنصورة: ٢٠٠٦م)، ج ١، ص ٣١-٣٢.

(٢) المقرى، أحمد بن محمد بن علي القيومي، المصباح المنير، تحقيق: محمد بشير الألبلي، المكتبة العلمية (بيروت: ١٩٨١)، ج ٢، ص ٣٩٦.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أبي القاسم بن حبقة الانصارى، لسان العرب، دار صادر (بيروت: د/ت)، ج ١١، ص ٤٣٠؛ وينظر: الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، البلغة في ترجم آنفة النحو واللغة، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي (الكويت: ١٤٠٧هـ)، ج ٢، ص ٢٣.

ومن معاني العدل الأخرى: الإنصاف، والمساواة، والإستقامة في الحكم، والتوسط، والكيل، والمثل أو المثل وهو الشريك، والقيمة، والفدية، والجزاء والفرضية والنافلة.

كذلك هناك الكثير من المرادفات الأخرى التي تعطي ذات المعنى والدلالة التي تحملها كلمة العدل، ولعل أهمها: (قسط، قصد، وسط، حصة، ميزان) وغيرها^(١) ، ولكن سينكتفي في هذا البحث بكلمة (العدل) فقط.

والعدالة: وُصِّفَ بالمصدر معناه ذو عَدْلٍ، وقد ورد في القرآن الكريم في موضعين، الموضع الأول قوله تعالى: {وَأَشْهَدُوا ذُو عَدْلٍ مِنْكُمْ}٢ . وقوله عز وجل: {يَخْكُمْ بِهِ ذُو عَدْلٍ مِنْكُمْ}٣ ، ويقال: رجل عَدْلٌ، ورجلان عَدْلٌ، ورجال عَدْلٌ، وأمرأة عَدْلٌ، ونسوة عَدْلٌ، كل ذلك على معنى رجال ذُو عَدْلٍ، ونسوة ذوات عَدْلٍ، فهو لا يُتَّسِّعُ ولا يُجْمَعُ ولا يُؤْثِرُ، فإن كان مجموعاً أو مثنى أو مونثاً، فذلك يعني بأنه قد أُجْرِي مجرى الوصف الذي ليس بمصدر^(٤).

وقد أورد ابن منظور أن عبد الملك بن مروان كتب إلى سعيد بن جبير يسأله عن العدل، فأجابه إن العَدْلَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ^(٥) .

العدل في الحكم قال الله تعالى: {وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بِنِتْهُمْ بِالْقُسْطِ}٦ .

والعدل في القول قال الله تعالى: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاغْدِلُوهُ}٧ .

والعدل الفنية قال الله عز وجل: {وَلَا يُقْبِلُ مِنْهَا عَدْلٌ}٨ .

والعدل في الإشراك قال الله عز وجل: {ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَغْلُوْنَ}٩ . أي يُشرِّكون.

وأما قوله تعالى: {وَلَئِنْ شَسْطَيْعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النَّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ}١٠ . ذكر أنه في الحُبُّ والجماع^(١١) .

وفلان يَعْدِلُ فلاناً أَيْ يُساوِيهِ، وقيل: العَدْلُ تقويمُ الشيء بالشيء من غير جنسه حتى تجعله له مثلاً، والعدل والعَدْلُ والتعديل سواء أي التَّنظير والمثل، وقيل: هو المثل وليس بالنظير عينه^(١٢) ، وفي التنزيل الكريم: {أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا}١٣ .

والعدل نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير، وقال الأَزْهَري: العَدْلُ اسْمُ حَمْلٍ مَعْدُولٍ بِحَمْلِ أَيْ مُسَوَّى بِهِ وَالْجَمْعُ أَعْدَالٌ وَعَدْلُوْنَ^(١٤) . وروى عن سيبويه والفراء في قوله تعالى: {أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا}١٥ . قال: العَدْلُ ما عاذل الشيء من غير جنسه ومعناه أي فداء ذلك والعدل المثل مثل الحمل^(١٦) .

وقال الزجاج: العَدْلُ والعدل واحد في معنى المثل، قال والمعنى: واحد كان المثل من الجنس أو من غير الجنس^(١٧) .

(١) مجيد خدورى، مفهوم العدل في الإسلام، ترجمة: دار الحصاد (دمشق: ١٩٩٨)، ص ٢١.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٢.

(٣) سورة المائدَة، الآية: ٩٥.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤٣٠.

(٥) المصدر نفسه، ج ١١، ص ٤٣٠.

(٦) سورة المائدَة، الآية: ٤٢.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٨) سورة البقرة، الآية: ١٢٣.

(٩) سورة الأنعام، الآية: ١.

(١٠) سورة النساء، الآية: ١٢٩.

(١١) ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤٣٠.

(١٢) المقري، المصباح المنير، ج ٢، ص ٣٩٦؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة (د/م: د/ات)، ج ٢، ص ٥٨٨.

(١٣) سورة المائدَة، الآية: ٩٥.

(١٤) ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤٢٠. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٥٨٨.

(١٥) سورة المائدَة، الآية: ٩٥.

(١٦) ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤٣٠.

(١٧) المصدر نفسه، ج ١١، ص ٤٣٠.

والعَدْلَيْتَانِ: الْغَرَارَتَانِ لَأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تُعَدِّلُ صَاحِبَتَهَا الْأَصْمَعِيُّ، يَقُولُ: عَدَلَتِ الْجُوَالِقُ عَلَى الْبَعِيرِ أَعْدَلَهُ عَدْلًا يُحْمَلُ عَلَى جَنْبِ الْبَعِيرِ وَيُعَدَّلُ بَعْدِهِ^(١).

وَالْعَدِيلُ: الَّذِي يُعَادِلُكَ فِي الْمَحْمُلِ^(٢).

وَالْعَدْلُ تَوَسُّطُ حَالٍ بَيْنَ حَالَيْنِ فِي كَمْ أَوْ كَيْفِ كَوْلَهُمْ جِسْمٌ مُعْتَدِلٌ بَيْنَ الطُّولِ وَالْقِصْرِ وَمَاءٌ مُعْتَدِلٌ بَيْنَ الْبَارِدِ وَالْحَارِّ وَيَوْمٌ مُعْتَدِلٌ طَيْبٌ الْهَوَاءِ^(٣).

أَعْدَلُ: أَيْ اسْتَقَامَ وَمَنْ قَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {خَلَقَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ}^(٤). بِالْتَّخْفِيفِ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ، وَقَيْلٌ: أَرَادَ عَدَلَكَ مِنَ الْكُفَّارِ إِلَى الْإِيمَانِ وَهِيَ نِعْمَةٌ^(٥).

قَيْلُ الْعَدْلِ الْفَدَاءِ وَمَنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا}^(٦)، أَيْ تَعْدِلْ كُلَّ فِدَاءً^(٧).

وَقَيْلٌ: الْعَدْلُ الْكَيْلُ، وَقَيْلٌ الْعَدْلُ: الْمِثْلُ وَأَصْلُهُ فِي الدِّيَةِ يَقُولُ لَمْ يَقْتُلُوْهُمْ عَدْلًا وَلَا صَرْفًا أَيْ لَمْ يُأْخُذُوْهُمْ دِيَةً وَلَمْ يَقْتُلُوْهُمْ رِجَالًا وَاحِدًا أَيْ طَلَبُواْهُمْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَقَيْلٌ: الْعَدْلُ الْجَزَاءُ، وَقَيْلٌ الْفَرِيضَةُ، وَقَيْلٌ النَّافِلَةُ^(٨).

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ "مِنْ شَرِبَ الْحَمْرَ لَمْ يَقْتُلَ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا أَرْبِيعَنْ لِيَلَةً"^(٩). قَيْلٌ: الصَّرْفُ الْحِيلَةُ، وَالْعَدْلُ: الْفَدِيَّةُ، وَقَيْلٌ: الصَّرْفُ الْدِيَةُ، وَالْعَدْلُ السَّوَيَّةُ، وَقَيْلٌ: الْعَدْلُ الْفَرِيضَةُ، وَالصَّرْفُ التَّطَوُّعُ، وَقَدْ رَوَى أَبُو عَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ ذَكَرَ الْمَدِينَةَ قَوْلُهُ: "مِنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَّثًا أَوْ آتَى مُحْدِثًا لَمْ يَقْبِلْ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا"^(١٠). رَوَى عَنْ مَكْحُولٍ أَنَّهُ قَالَ الصَّرْفُ التَّوْبَةُ وَالْعَدْلُ الْفَدِيَّةُ، وَالْعَدْلُ الْقِيمَةُ^(١١).

عَدْلُ الْكَافِرِ بِرَبِّهِ عَدْلًا وَعُدُولًا إِذَا سَوَى بِهِ غَيْرَهُ فَعَبَدَهُ، وَمَنْهُ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالُوا مَا يُغْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ وَقَدْ عَدَلْنَا بِاللَّهِ، أَيْ أَشْرَكْنَا بِهِ وَجَعَلْنَا لَهُ مِثْلًا، وَمَنْهُ حَدِيثُ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَذَبُ الْعَادِلِونَ بِكِ إِذْ شَهَوْكَ بِأَصْنَامِهِمْ^(١٢).

وَالْعَدْوَلِيَّةُ نُسِّبَتْ إِلَى مَوْضِعٍ كَانَ يُسَمِّي عَدْوَلَةً وَهِيَ بُوزَنْ فَعْوَلَةُ، وَذَكَرَ عَنِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: عَدْوَلَى لَيْسَوْا مِنْ رَبِيعَةٍ وَلَا مُضَرٍّ وَلَا مِنْ يُعْرَفُ مِنَ الْيَمِنِ إِنَّمَا هُمْ أَمَّةٌ عَلَى حِدَّةٍ^(١٣).

وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ يَقُولُ لِزَوْاِيَا الْبَيْتِ الْمُعَدَّلَاتِ وَالدَّرَاقِيعِ^(١٤).

(١) ابْنُ مَنْظُورٍ، الْمَصْدُرُ نَفْسَهُ، ج١، ص٤٣٠؛ إِبْرَاهِيمُ مُصْطَفىٰ وَآخَرُونَ، الْمَعْجمُ الْوَسِيْطُ، ج٢، ص٥٨٨.

(٢) الْمَصْدُرُ نَفْسَهُ، ج١١، ص٤٣٠؛ الْمَرْجَعُ نَفْسَهُ، ج٢، ص٥٨٨.

(٣) الْمَصْدُرُ نَفْسَهُ، ج١١، ص٤٣٠؛ الْمَرْجَعُ نَفْسَهُ، ج٢، ص٥٨٨.

(٤) سُورَةُ الْإِنْفَطَارُ، الآيَةُ: ٧.

(٥) ابْنُ مَنْظُورٍ، الْمَصْدُرُ نَفْسَهُ، ج١، ص٤٣٠؛ إِبْرَاهِيمُ مُصْطَفىٰ وَآخَرُونَ، الْمَعْجمُ الْوَسِيْطُ، ج٢، ص٥٨٨.

(٦) سُورَةُ الْأَنْعَامُ، الآيَةُ: ٧٠.

(٧) ابْنُ مَنْظُورٍ، الْمَصْدُرُ نَفْسَهُ، ج١١، ص٤٣٠.

(٨) الْمَصْدُرُ نَفْسَهُ، ج١١، ص٤٣٠؛ الْمَقْرِيُّ، الْمَصْبَاحُ الْمُنْبِرُ، ج٢، ص٣٩٦.

(٩) ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، ج١١، ص٤٣٠؛ اَبُو عَيْدٍ، يَنْظُرُ اَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ، اَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْبَانِيُّ، الْمُسْنَدُ، مَوْسِيَّةُ قَرْطَبَةِ (الْقَاهِرَةُ)، دَرَسٌ، ج٥، ص١٧١؛ الطَّبَرَانِيُّ، سَلِيمَانُ بْنُ اَحْمَدَ بْنِ اَبِي القَاسِمِ، الْمَعْجمُ الْكَبِيرُ، تَحْقِيقُ: حَمْدَيُ بْنُ عَبْدِ الْمُجِيدِ السَّلْفِيُّ، ط٢، مَكْتَبَةُ الْعُلُومِ وَالْحُكْمِ (الْمَوْصِلُ)، ج٩٨٣، ج١٢، ص٣٩٠.

(١٠) الْبَخَارِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ اَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْجَعْفِيُّ، الْجَامِعُ الصَّحِيفُ الْمُختَصِّرُ، تَحْقِيقُ: مُصْطَفىٰ دَبَّ الْبَغَا، ط٣، دَارُ اِبْنِ كَثِيرٍ (الْيَمَامَةُ، بَيْرُوتٍ: ١٩٨٧)، ج٦، ص٢٤٨٢؛ مُسْلِمُ، اَبُو الْحَسِينِ بْنِ الْحَجَاجِ، اَبُو مُسْلِمُ الشَّفِيرِيُّ الْنِيَابِيُّ، صَحِيفَ مُسْلِمٍ، دَارُ الْفَكْرِ (بَيْرُوتٍ: دَرَسٌ)، ج٤، ص١١٥؛ اَبُو دَاوُدٍ، سَلِيمَانُ بْنُ اَلْاَشْعَثِ السَّجَسْتَانِيُّ، سَنَنُ اَبِي دَاوُدٍ، تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ: سَعِيدُ مُحَمَّدٍ الْلَّحَامُ، دَارُ الْفَكْرِ لِلطبَاعَةِ وَالنُّشْرِ وَالتَّوزِيعِ (دَمَّ: دَرَسٌ)، ج٢، ص١٦٧؛ الْبَيْهَقِيُّ، اَحْمَدُ بْنُ الْحَسِينِ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ مُوسَى اَبُو بَكَرٍ، سَنَنُ الْبَيْهَقِيِّ الْكَبِيرِ، تَحْقِيقٌ: مُحَمَّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ عَطَاءُ، مَكْتَبَةُ دَارِ الْبَازِ (مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةُ: ١٩٩٤)، ج٥، ص١٩٦.

(١١) ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، ج١١، ص٤٣٠.

(١٢) الْمَصْدُرُ نَفْسَهُ، ج١١، ص٤٣٠.

(١٣) الْمَصْدُرُ نَفْسَهُ، ج١١، ص٤٣٠.

(١٤) الْمَصْدُرُ نَفْسَهُ، ج١١، ص٤٣٠.

بناءً على هذه المعاني المختلفة لكلمة (العدل)، فإنه يمكن القول: بأن المعنى الحرفي لـ(عدل) في العربية الفصيحة مزيجاً من القيم الأخلاقية والاجتماعية، وهو يفيد: الإنفاق، الميزان، الاعتدال، الاستقامة، أما منطقياً فالعدل مرتكب من كل هذه القيم والفضائل^(١).

ثانياً- العدل إصطلاحاً:

لقد ذُكر لمعنى (العدل) في الإصطلاح عدة تعاريف، منها ما ذكره الجرجاني عن العدل بأنه: "عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتغريط، وفي اصطلاح النحويين خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغة أخرى، وفي اصطلاح الفقهاء من اجتنب الكبائر ولم يصر على الصغار وغلب صوابه، واجتنب الأفعال الخسيسة كالأكل في الطريق والبول"^(٢). كما هو واضح فإن المعنى الإصطلاحي للعدل يختلف باختلاف التخصصات، إذ هو يعني في اصطلاح النحويين شئ يختلف عن معناه لدى الفقهاء، وهذا أمر بديهي بالنسبة للتعریف الإصطلاحي لأی کلمة في اللغة العربية. وقد ذهب الأنصاری إلى تعريف العدل، بأن العدل مصدر بمعنى العدالة، وهي الاعتدال والثبات على الحق^(٣).

وفي تعريف آخر أكثر تفصيلاً لمعنى العدل في الإصطلاح، أن عدل: العدالة والمعادلة لفظ يقتضي معنى المساواة ويستعمل باعتبار المضافة، والعدل والعدل يتقاربان، لكن العدل يستعمل فيما يدرك بالبصرة كالأحكام، وعلى ذلك قوله {أو عدل ذلك صياماً}^(٤). والعدل والعدل فيما يدرك بالحاسة كالمزونات والمعدودات والمكيلات، فالعدل هو التقسيط على سواء، وعلى هذا روى بالعدل قامت السموات والارض تنبئها، أنه لو كان ركن من الأركان الاربعة في العالم زانداً على الآخر أو ناقصاً عنه على مقتضى الحكمة لم يكن العالم منتظاماً^(٥).

والعدل ضربان: مطلق يقتضي العقل حسه، ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوحاً، ولا يوصف بالاعتداء بوجه، نحو الاحسان إلى من أحسن إليك، وكف الأذية عن كف آذاه عنك^(٦). وعدل يعرف كونه عدلاً بالشرع، ويمكن أن يكون منسوحاً في بعض الأزمنة، كالقصاص وأروش الجنایات، وأصل مال المرتد^(٧).

ولذلك قال: {فَمَنْ اعْنَدَ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْنَدَتِي عَلَيْكُمْ}^(٨) ، وقال: {وَجَرَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلَهَا}^(٩)، فسمى اعتداء وسيئة، وهذا النحو هو المعنى بقوله: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعِدْلِ وَالْإِحْسَانِ}^(١٠)، فإن العدل هو المساواة في المكافأة، إن خيراً فخير وإن شرًّا فشر، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه^(١١).

ثالثاً- مفهوم العدل في القرآن الكريم:

لقد وردت كلمة (العدل) ومشتقاتها ٢٨ مرة في القرآن الكريم، منها ١٣ مرة في العهد المكي، و ١٥ مرة في العهد المدني.

ووردت مشتقات كلمة (عدل) في القرآن الكريم، بـ(١٢) صيغة، وهي: صيغة (يعدلون) ٥ مرات، و(عدل) مرة واحدة، و(عدل) ٤ مرات، و(أعدلوا) مرتان، و(عدل) مرة واحدة، و(العدل) مرة واحدة، و(بالعدل) ٦ مرات، و(فعذلك) مرة واحدة، و(عدل) مرتان، و(تعدوا) ٣ مرات، و(أعدلوا) مرة واحدة، و(عدل) مرة واحدة.

(١) مجید خدوری، مفهوم العدل في الإسلام، ص ٢٣.

(٢) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: ابراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي (بيروت: ١٤٠٥)، ص ٩١.

(٣) ابو يحيى الأنصاری، زکریا بن محمد بن زکریا، الحود الأنتقة والتعريفات الدقيقة، دار الفكر المعاصر (بيروت: ١٤١١)، ص ٧٣.

(٤) سورة المائدۃ، الآية: ٩٥.

(٥) الراغب الأصفهانی، الحسن بن محمد (ت: في حدود ٤٢٥ هـ - ٣٤١ م)، مفردات الفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان داودی، دار القلم، الدار الشامية (بيروت، دمشق: د/ات)، ص ٣٢٥؛ المناوی، محمد عبدالرؤوف، التوقيف على مهمات التعريف، تحقيق: محمد رضوان الدایبة، دار الفكر (بيروت، دمشق: ١٤١٠)، ص ٥٦.

(٦) الراغب الأصفهانی، المصدر نفسه، ص ٣٢٥.

(٧) المصدر نفسه، ص ٣٢٥.

(٨) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

(٩) سورة الشوری، الآية: ٤٠.

(١٠) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(١١) الراغب الأصفهانی، مفردات القرآن الكريم، ص ٣٢٥.

لقد ذهب الدامغاني صاحب كتاب (الوجه والنظائر) إلى أن كلمة العدل قد نزلت على خمس أوجه في القرآن الكريم، وهي: الفداء، الإنصاف، القيمة، شهادة أن لا إله إلا الله، الشرك، وذلك بحسب ترتيب سور القرآن الكريم في المصحف الشريف^(١).

أما عند الرجوع إلى القرآن الكريم بحسب التسلسل التاريخي في النزول، يتبيّن لنا بأن تسلسله يختلف جزرياً عن تسلسل سور القرآن الكريم بحسب ترتيب المصحف، وفيما يأتي بيان معانى كلمة (العدل) بحسب التسلسل التاريخي في النزول:

المعنى الأول: للعدل في القرآن الكريم ورد بصيغة (يعدلون) ويعني: بالحق يحكمون^(٢)، كما في قوله تعالى: {وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَىٰ أَمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدَلُونَ}٣). وهي المرة الأولى التي نزلت فيها إحدى مشتقات كلمة (العدل) في القرآن الكريم، حيث ذهب ابن الجوزي إلى أن المشار إليهم بهذا ثلاثة أقوال: أحدها أنهم قوم وراء الصين لم تبلغهم دعوة الإسلام، قاله ابن عباس والسدي؛ والثاني: أنهم من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم، مثل ابن سلام وأصحابه قاله ابن السائب؛ والثالث: أنهم الذين تمسكوا بالحق في زمان أنبيائهم ذكره الماوردي^(٤)، ولا يدل هذا على استدامته حاله على الأبد^(٥).

وقوله تعالى: {وَمِنْ خَلْقًا أَمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدَلُونَ}٦). وهي المرة الثانية التي نزلت فيها كلمة (يعدلون)، ومعناها: يعلّمون به وبه يعدلون^(٧)، وفيهن أريد بهذه الآية أربعة أقوال:

أحدها: أنهم المهاجرون والأنصار والتابعون بمحسان من هذه الأمة، قاله ابن عباس وكان ابن جرير يقول: ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه أمتي بالحق يأخذون، ويعطون ويقضون، وقال قتادة: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم: كان إذا تلا هذه الآية، قال: هذه لكم وقد أعطي القوم مثلها، ثم يقرأ {وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَىٰ أَمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدَلُونَ}٨)، والثاني: أنهم من جميع الخلق، قاله ابن السائب؛ والثالث: أنهم الأنبياء؛ والرابع: أنهم العلماء ذكر القولين الماوردي^(٩).

المعنى الثاني: للعدل في القرآن الكريم بصيغة (يعدلون): بمعنى يشركون^(١٠) باهتمام تعالى، وذلك في ثلاثة آيات مكية، الآية الأولى منها هي قوله تعالى: {...يَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدَلُونَ}١١). والآية الثانية هي قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدَلُونَ}١٢). والثالثة قوله تعالى: {قُلْ هَلْ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهُدُونَ أَنَّ اللّٰهَ حَرَمَ هَذَا فَإِنْ شَهَدُوا فَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِإِيمَانِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدَلُونَ}١٣). هذه الآيات الثلاث هي مكية النزول، الآية الأولى من سورة (النمل) التي ترتيبها^(٤)، والأيتان الآخرتان من سورة (الأنعام) التي ترتيبها^(٥) من بين سور العهد المكي^(١٤).

الجدير بالذكر هنا أن صيغة (يعدلون) وردت خمس مرات في القرآن الكريم، وجميعها وردت في سور العهد المكي، معنى إثنان منها: تحقيق العدالة، وهذا المرة الأولى والثانية التي نزلت بها هذه الكلمة في القرآن الكريم، كما يتبيّن بوضوح في الجدول أدناه، أما في المرات الثلاث الأخرى فقد نزلت متتالية، وجاءت صيغة

(١) الدامغاني، أبي عبد الله الحسين بن محمد، الوجه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تحقيق: محمد حسن أبو العزم الزفيري (القاهرة: ١٩٩٥)، ج ٢، ص ٧٣-٨٠.

(٢) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، ط ٣، المكتب الإسلامي (بيروت: ١٤٠٤)، ج ٣، ص ٢٧٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٩.

(٤) زاد المسير، ج ٣، ص ٢٧٤.

(٥) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، (تفسير الماوردي) المعروف بالنكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية (بيروت: د/ت)، ج ٢، ص ٢٧٠.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٨١.

(٧) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ٢٩٤.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٥٩.

(٩) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ٢٩٤.

(١٠) الدامغاني، الوجه والنظائر، ج ٢، ص ٨٠.

(١١) سورة النمل، الآية: ٦٠.

(١٢) سورة الأنعام، الآية: ١.

(١٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٠.

(١٤) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص ١٣٦؛ السيوطي، الإنegan في علوم القرآن، ج ١، ٣٢-٣٠؛ وينظر: دروزة، محمد عزة، سير الرسول صلى الله عليه وسلم صورة مقتيسة من القرآن الكريم، مطبعة الإستقامة (القاهرة: ١٩٤٨)، ج ١، ص ١٣٤، ج ٢، ص ٩.

(يعدلون) فيها بمعنى: يشرون، وهي بذلك تختلف اختلافاً جذرياً عن المعنيين السابقين لكلمة يعدلون، التي تعنى تحقيق العدالة.

المعنى الثالث: للعدل في القرآن الكريم: انه يعني شهادة أن لا إله إلا الله، وهي كلمة التوحيد^(١)، كما في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُمُ لَعْنَكُمْ تَذَكَّرُونَ}٢). وهي مكية النزول.

المعنى الرابع: للعدل في القرآن الكريم: أنه يعني الفداء^(٣)، وهو معنى مشترك النزول بين العهدين المكي والمدني، كما في قوله تعالى: {... وَإِنْ تَعْوِلُ كُلَّ عَذْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا...}٤). وهو مكي النزول، ونزل تاكيد هذا المعنى في العهد المدني بقوله تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفاعةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَذْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ}٥).

المعنى الخامس: للعدل في القرآن الكريم: أنه يعني (الإنصاف)^(٦)، كما في قوله تعالى: {...فَإِنْ خَفْتُمُ الْأَعْدِلُوا فَوَاجِهُهُ أَوْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَانَكُمْ ذَلِكَ أَذْنَى أَلَا تَعْوِلُوا}٦). أي أن لا تتصفوا، وقوله تعالى: {وَلَنْ تَسْتَطِعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ}٧). أي أن تتصفوا^(٨).

المعنى السادس: (للعدل) في القرآن الكريم: أنه يعني (القيمة)^(٩)، كما في قوله سبحانه وتعالى: {أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا}١٠). ومعناه: أن من لم يجد الطعام، يقوم عليه مكان نصف صاع صوم يوم^(١١).

وقد لوحظ ان كلمة العدل، بمعنى تحقيق العدل والحكم بالعدل وقول الحق، قد جاءت في القرآن الكريم بصيغة فعل الأمر في الغالب الأعم، كما هو واضح من مثل قوله تعالى: {... وَإِذَا قَاتَلْتُمْ قَاتِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ تَذَكَّرُونَ}١٢). وقوله تعالى: {... وَأَمْرُتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ...}١٤). وقوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمْ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْمَانًا يُوْجَهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ أَيْمَانًا يُوْجَهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هُلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}١٥). وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بَيْنَ إِلَيْ أَجْلِ شُسْمَىٰ فَاقْتُلُوهُ وَلَيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلِمَ اللَّهُ فَلَيَكْتُبْ وَلَيَمْلِلَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحُقْقُ وَلَيُنَقِّلَ اللَّهُ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنَّ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحُقْقُ سَفِهِهَا أَوْ ضَعِيفَاً أَوْ لَا يَسْتَطِعُ أَنْ يُمْلِلَ هُوَ فَلَيَمْلِلَ وَلَيُهُلِلَ بِالْعَدْلِ...}١٦). وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْتُوا الْأَمْوَالَ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ يُعْلَمُ بِمَا يَعْظِمُ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}١٧). وقوله تعالى: {... فَاصْلُحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}١٨). وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوْمَيْنِ اللَّهُ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَغْرِيْنَكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}١٩).

(١) الدامغاني، الوجه والنظائر، ج ٢، ص ٨٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٣) الدامغاني، الوجه والنظائر، ج ٢، ص ٧٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٧٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٨.

(٦) الدامغاني، الوجه والنظائر، ج ٢، ص ٨٠.

(٧) سورة النساء، الآية: ٣.

(٨) سورة النساء، الآية: ١٢٩.

(٩) الدامغاني، الوجه والنظائر، ج ٢، ص ٨٠.

(١٠) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٠.

(١١) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

(١٢) الدامغاني، الوجه والنظائر، ج ٢، ص ٨٠.

(١٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(١٤) سورة الشورى، الآية: ١٥.

(١٥) سورة النحل، الآية: ٧٦.

(١٦) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(١٧) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(١٨) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(١٩) سورة المائدة، الآية: ٨.

وفيما يأتي جدول يوضح التسلسل التاريخي لنزول سور القرآن الكريم، بالنسبة للعهدين المكي والمدني^(١)، فضلاً عن بيان تسلسل سور القرآن الكريم بحسب ترتيبها في المصحف الشريف.

جدول لبيان سور القرآن الكريم، حسب التسلسل التاريخي للنزول في العهد المكي، وبحسب ترتيب المصحف:

السورة	ترتيب العهد المكي	ترتيب المصحف	الآية ورقمها
الأعراف	٣٨	٧	١. {وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أَمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يُعَذَّلُونَ}. (١٥٩). ٢. {وَمِنْ خَلْقًا أَمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يُعَذَّلُونَ}. (١٨١).
النمل	٤٧	٢٧	١. {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَانْبَثَتْ بِهِ حَذَابِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَبْثُوا شَجَرَهَا أَلْلَهُ مَعَ اللَّهِ بِلَّهُمْ قَوْمٌ يَعْذَلُونَ}. (٦٠).
الأنعام	٥٤	٦	١. {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظِّلَامَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْذَلُونَ}. (١). ٢. {وَذَرَ الَّذِينَ أَخْذَنَا دِينَهُمْ لَعْنَاهُ وَغَرَثُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تُبَشِّرَ نَفْسَ بِمَا كَسِبَتْ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيقٌ وَإِنْ تَغْدِنَ كُلَّ عَذْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبْسِلُوا بِمَا كَسِبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ}. (٧٠). ٣. {إِنْ هُمْ شَهَادُوكُمُ الَّذِينَ تَشْهُدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَمَ هَذَا فَإِنْ شَهَدُوا فَلَا تَشَهَّدُ مَعْهُمْ وَلَا تَتَبَعَ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِيمَانِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْلَمُونَ}. (١٥٠).
الشورى	٦١	٤٢	٤. {وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْأَتِيمِ إِلَّا بِالْأَيْمَنِ هِيَ أَحْسَنُ حَيَّىٰ بَيْنَ أَشْدَدِ وَأَوْفُوا الْأَكْلِينَ وَالْمُبِيزِينَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَفِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاغْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكِمْ بِهِ لَعْلَمُ تَذَكَّرُونَ}. (١٥٢). ٥. {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيمُ..}. (١١٥).
النحل	٦٩	١٦	١. {فَلَذِلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمْرَتْ وَلَا تَتَبَعَ أَهْوَاءَهُمْ وَلَا تَتَبَعَ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ أَمَّنْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمْرَتْ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلَنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمِعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}. (١٥).
الإنطمار	٨١	٨٢	١. {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ}. (٧).

جدول لبيان سور القرآن الكريم، حسب التسلسل التاريخي للنزول في العهد المدني، وبحسب ترتيب المصحف:

السورة	ترتيب العهد المكي	ترتيب المصحف	الآية ورقمها
البقرة	١	٢	١. {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ}. (٤٨).

(١) ينظر في مسألة التسلسل التاريخي لسور القرآن الكريم في العهدين المكي والمدني المصادر الآتية: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص ١٣٦؛ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ٣٢-٣٠، وينظر: دروزة، محمد عز، سير الرسول صلى الله عليه وسلم صورة مقتبسة من القرآن الكريم، مطبعة الإستقامة (القاهرة: ١٩٤٨)، ج ١، ص ١٣٤، ج ٢، ص ٩.

٢.	{وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجِزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَذَّلٌ وَلَا تَنْعَهُ شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} (١٢٣).	٢.		
٣.	{إِيَّاهُمَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَانَتْ بَدَنَى إِلَى أَجْلٍ مُسَمًّى فَأَكْتُبُوهُ وَلَيَكُتبُ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبُ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبْ كَمَا عَلِمَ اللَّهُ فَلَيَكُتبُ وَلَيُمْلِلَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحُقْقَاءُ أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلِلَ هُوَ فَلَيَمْلِلَ وَلَيُؤْتِهِ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهُدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلُيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِنْ تَرْضَيْنَ مِنَ الشَّهَادَاءِ أَنْ تَضَلَّلَ إِحْدَاهُمَا فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبُ الشَّهَادَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجْلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى إِلَى تَرْتَابِهِمَا وَأَدْنَى إِلَى تَرْتَابِهِمَا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً ثَيِّرُونَهَا بَيْنَكُمْ قَلِيلٌ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ إِلَّا تَكْتُبُوهَا وَشَهِيدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَعْلَوْا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بَعْدَ وَاتَّقُوا اللَّهُ وَبِعَلَمْكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْمٌ}. (٢٨٢).	٣.		
٤.	١. {وَإِنْ خَفْتُمْ أَنْ لَا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوهُمَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مُتَّقِيٰ وَثَلَاثَ وَرْبَاعٍ فَإِنْ خَفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوهُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى إِلَى تَعْوِلاً} (٣).	٤.	٦	النساء
٥.	٢. {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْتُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ يُعِظُّمُ بِإِيمَانِكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}. (٥٨).	٥.		
٦.	٣. {وَلَئِنْ تَسْتَطِعُوا أَنْ تَعْدِلُوْنَ بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَئِنْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَبْيَلُوْنَ كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُّوْهَا كَالْمُعَاقَةِ وَلَئِنْ تُصْلِحُوهُنَّا وَتَنْقُوا رَبِّهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}. (١٢٩).			
٧.	٤. {إِيَّاهُمَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِيْنَ بِالْقُسْطِ شَهَادَةُ اللَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدِيْنَ وَالْأَقْرَبِيْنَ إِنْ يَكُونُ غَيْرًا أَوْ فَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَبَعُوْهُمْ أَنْ تَعْدِلُوْنَ وَإِنْ تَلُوْنَ أَوْ تُعْرِضُوْنَ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ حَبِيرًا}. (١٣٥).	٧.		
٨.	١. {إِنَّمَا يَنْهَا عَنِ الْأَجْلِهِنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارْقَوْهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهُدُوْنَ ذَوِيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِهِ ذَلِكُمْ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَنْقِقُ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا}. (٢).	٨.	٦٥	الطلاق
٩.	١. {وَإِنْ طَافَتِيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ افْتَلُوْهُمَا فَأَصْلِحُوْهُمَا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَعْدَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوْهُمَا تَنْعِيْهَ حَتَّى تَنْفِيْهَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ قَاتَلُوْهُمَا فَأَصْلِحُوْهُمَا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَ}. (٩).	٩.	٢٠	الحجرات
١٠.	١. {إِيَّاهُمَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِيْنَ لِهِ شَهَادَةَ بِالْقُسْطِ وَلَا يَجْرِي مَنْكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوْهُمْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوِيَةِ وَأَنْتُوْهُمْ إِنَّ اللَّهَ حَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ}. (٨).	١٠.	٥	المائدة
١١.	٢. {إِيَّاهُمَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْتَلُوْهُمَا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَاتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَحَرَاءٌ مِثْلُ مَا قَاتَلَ مِنْ النَّعْمَ يَحْكُمُ بِهِ قَوْا عَدْلٌ مِنْكُمْ هُدَيَا بِالْعَكْبَيْةِ أَوْ كَفَارَةً طَعَامٌ مَسَاكِيْنَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صَيَاماً لِتِذْوَقِ وَبَالْ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو اِنْقَامٍ}. (٩٥).	١١.		
١٢.	٣. {إِيَّاهُمَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةَ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ حِينَ الْوَصِيَّةِ اتَّشَانَ ذَوَا عَدْلٌ مِنْكُمْ أَوْ أَخْرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَتَتْ ضرِبَتِمْ فِي الْأَرْضِ فَاصْبَاتُكُمْ مُصَيْبَةً الْمَوْتِ تَحْسِنُوْهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمُوْنَ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبَثُمْ لَا نَشَرِّي بِهِ شَمَانًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا تَكُونُ شَهَادَةُ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمْنَا الْأَثِيْمِ}. (١٠٦).	١٢.		

رابعاً- نماذج من تطبيقات العدالة في عصر الرسالة:

لقد عاش النبي ص قبل بعثته أربعين سنة في مجتمع كان الظلم فيه منتشرأً، لذا فإنه ص كان يولي مسألة العدل أهمية كبيرة، لتحقيق المساواة بين الناس، إذ لا فضل لأحد على أحد إلا بميزان واحد وهو ميزان

النقوى والعمل الصالح، وليس الثروة والنسب كما كان مشاعاً في الجاهلية، وهذا لا يعني بأن الجاهلية كانت خالية من الفضائل، بدليل قول النبي ص: "إنما يُبعثُ لِأَنْتُمْ مَكَارُ الْأَخْلَاقِ"^(١).

وكان حضور النبي ص حلف الفضول وهو في العشرين من عمره، في دار عبد الله بن جدعان من أجل نصرة المظلوم وتحقيق العدل، من دواعي فخره ص لحضوره ذلك الحلف، لأنها تنسجم مع مبادئ الإسلام في تحقيق العدل والتآسي على الحق والوقوف مع المظلوم ضد الظالم حتى يؤدى إليه حقه.

لقد ورد أن النبي ص قال مفتخرًا بحضوره حلف الفضول: "لقد شهدت في دار ابن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجابت"^(٢).

كان هذا الحلف في الجاهلية قبل مبعث النبي ص، وكان سببه أن رجلاً من زبيد جاء إلى مكة ببعضه له فاشتراها منه العاص بن وائل؛ وكان ذا شرف، وذا قدر كبير في قريش، فمنعه حقه، فاستجد الزبيدي بالأحلاف من قريش، فألبوا أن ينجده وينصره، فذهب إلى جبل أبي قبيس وعلا فوقه ثم نادى بأعلى صوته بشعر له يصف فيه ظلامته وقريش في أدنيتها حول الكعبة تسمعه، فسعوا في ذلك، لذلك سعى منهم الزبير بن عبد المطلب في هذا الأمر واجتمعت هاشم وزهرة وتيمن بن مرة في دار عبد الله بن جدعان، وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدًا واحدة مع المظلوم على ظالمه، حتى يأخذوا له بحقه منه، فسمعت قريش بهذا الحلف، فاثنت عليه وأزرته، ثم مضى هؤلاء إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه حق هذا الزبيدي وأعادوه إليه^(٣).

١- اقوال النبي ص في الحث على العدل:

ذكرت كتب الحديث النبوى الشريف أحاديث عديدة عن النبي ص، يحث فيها على العدل، وتحقيق العدالة، منها على سبيل المثال:

قوله ص: فيما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ص: "إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرِ مِنْ نُورٍ: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي خُمُّهُمْ وَأَهْلِهِمْ وَمَا لُؤْلُؤًا"^(٤).

وقوله ص: فيما روى عن عبد الله بن عمرو كذلك أنه قال: سمعت رسول الله ص يقول: "أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقطط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وغافل متعفف..."^(٥).

وفي الصحيح عن أبي هريرة: سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر أولهم "إمام عادل"^(٦).

وعن أنس عن النبي ص قال: "لَا تزال هذه الأمة بخير ما إذا قالت صدق، وإذا حكمت عدلت، وإذا استرحمت رحمت"^(٧).

وفي مجال التطبيق لم يقبل النبي ص بتعطيل حدود الله، التي شرعاً بها سبحانه وتعالى لإقامة العدل بين الناس، ولو كان الجاني من أقرباته وأحبابه، ففي حادثة المرأة المخزومية التي سرقت لم يقبل شفاعة أسامة بن زيد فيها، وقال مقالته المشهورة: "أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد"^(٨).

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار البارز (مكة المكرمة: ١٩٩٤)، ج ١٠، ص ١٩١.

(٢) ابن حبان، محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ط ٢، مؤسسة الرسالة (بيروت: ١٩٩٣)، ج ١٠، ص ٢١٦.

(٣) السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلاوي، دار إحياء التراث العربي (بيروت: ٢٠٠٠)، ج ٢، ص ٤٦.

(٤) الحميدي، محمد بن فتوح، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: علي حسين اليواب، دار ابن حزم (بيروت: ٢٠٠٢)، ج ٣، ص ٣٣٦.

(٥) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٤١٠)، ج ٦، ص ١١.

(٦) صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٣٤.

(٧) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين (القاهرة: ١٤١٥)، ج ١، ص ٢٤٣.

(٨) صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٢٨٢، أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستانى، سنن أبي داود، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر (دم: دات)، ج ٤، ص ١٧٩.

وقد نبه ابنته فاطمة، إلى أن أعمالها وحدها سوف تشفع لها يوم القيمة، وقال أيضاً: "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"^(١).

٢- عدل النبي ص في مساواة نفسه مع الآخرين:

وفي معاملاته مع الآخرين لم يكن النبي ص يضع نفسه على مستوى أرفع من غيره، بل كان يضع نفسه على قدم المساواة مع سائر الناس، وخير دليل على ذلك قوله تعالى بحق النبي ص: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْكُمْ...} ^(٢).

وخير مثال على هذا الأمر ما رواه ابن هشام في سيرته أن النبي ص وقف يوم بدر يساوي بين الصنوف، فوجد أحد الصحابة وهو سواد بن غزية متقدماً على الصنف "فطعن النبي ص بطنه بالسهم الذي بيده، وقال: أستو يا سواد، فقال: يا رسول الله، أوجعني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، قال: فأفقلني، فكشف رسول الله ص عن بطنه، وقال: استقد، قال: فاعتقه فقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلتك، فدعاه رسول الله ص بخير"^(٣).

إنها أسمى معانٍ المساواة بين البشر، تظهر معالمها بوضوح، حين يدعو الرسول ص هذا الصحابي للاتصالصاص منه، وهو النبي هذه الأمة، وهو الذي وكزه حرصاً على نظام الصنف في أمر له شأنه في تاريخ الأمة، ولم يكن النبي ص ليوكز أحداً وكزة تولمه، ومع ذلك، فقد ظهر التطبيق الفعلي لقيمتي العدل والمساواة في هذه القصة.

ولم يكن النبي ص يدعو لاحترام إنسانية المسلم فحسب، بل امتدت تعاليمه تلك لتشمل كل نفس، وإن كانت على غير دين الإسلام، حيث وقد قام لجنازة يهودي حين مرت أمامه فعندنا تعجب الصحابة وقلوا: يا رسول الله إنه يهودي! فكان رد النبي ص عليهم: "أليست نفساً؟"^(٤). هنا أراد النبي ص أن يبيّن بأن النفس البشرية مكرمة عند الله تعالى، وإن كانت ليهودي، لذا يجب أن تحترم.

كان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلاً رسول الله ص، في التعاقب على ركوب الدابة، فلما جاء دور رسول الله ص، لكي ينزل ويمشي قالا له: نحن نمشي عنك، على أن يبقى النبي ص راكباً فقال: "ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما"^(٥).

وعند بناء الصحابة لأول مسجد في تاريخ الإسلام (مسجد قباء) كان يحمل معهم الحطب كأي فرد فيهم، وحين حاول حمزة أن يحمل عنه، أبي النبي ص ذلك ورفض أن يتميز على أصحابه، ليرغب المسلمين في العمل فيه، فقاموا مسرعين للعمل، حتى أن قال قائلهم:^(٦):

لئن قعدنا والنبي يعمل
لذاك مِنَ الْعَمَلِ الْمُضَلِّلُ

٣- العدل مع النفس:

العدل مع النفس، خلقَ كان النبي ص، حريصاً كل الحرص، بأن يكون الإنسان عادلاً مع نفسه، فلا يكلفها بما لا طاقة لها بها.

حيث ذكر أنه في يوم من الأيام، بلغ النبي ص أن أحد الصحابة وهو عبد الله بن عمرو كان يصوم النهار ويقوم الليل، ورغم قيمة العبادة في الإسلام إلا أن النبي ص رفض أن تذهب هذه العبادة بالشخص مذهبًا بعيدًا عن العدل مع النفس حين يرهق نفسه ويعذبها، حيث قال النبي ص لعبد الله: "يا عبد الله بن عمرو بلغني أنك تصوم النهار، وتقوم الليل فلا تفعل، فإن لجسدك عليك حظاً، ولعينك عليك حظاً، وإن لزوجك عليك حظاً"^(٧).

(١) صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٢٨٢؛ صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٣١١.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ق ١، ص ٦٢٦.

(٤) صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٦١.

(٥) صحيح ابن حبان، ج ١١، ص ٣٥؛ الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عباده النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٠)، ج ٣، ص ٢٣.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ق ١، ص ٤٩٦.

(٧) صحيح مسلم، ج ٢، ص ٨١٢؛ احمد بن حنبل، المسند، ج ٢، ص ١٩٤.

وحيث يكون المرء عادلاً مع نفسه، مدرباً إياها على التمتع بالوسطية وعدم الإفراط، وعدم تعريض نفسه لما لا تطيقه، حتماً سيعمل هذا الإنسان كيف يكون عادلاً مع الآخرين.

٤- العدالة في أداء الأمانة:

لقد ذكر ابن إسحاق أن النبي ص بعد أن خطب المسلمين يوم فتح مكة سنة (١٣٠ هـ)، فإنه عندما جلس في المسجد، قام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، أجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليه عليك، فقال رسول الله ص: أين عثمان بن طلحة؟ فذعى له، فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بُرٌّ ووفاء^(١).

وفي تفصيل آخر أكثر من هذه الرواية ذكر القرطبي أن قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْتُوا الْأَمْوَالَ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ...} ^(٢)، قد نزل خطاباً للنبي ص خاصةً في أمر مفتاح الكعبة، حين أخذه من عثمان بن أبي طلحة الحجي العبدري منبني عبد الدار، ومن ابن عمته شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، وكانا كافرين وقت فتح مكة، فطلب العباس بن عبد المطلب لتضاف له سدانة البيت وهو الذي يكون بيده مفتاح الكعبة إلى وظيفة السقاية التي كانت بيده، فدخل رسول الله ص الكعبة فكسر ما كان فيها من الأواني، وأخرج مقام إبراهيم (عليه السلام) ونزل عليه جبريل (عليه السلام) بهذه الآية، فدعاه عثمان وشيبة فقال: "خذها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم"^(٣). ولا يزال ذلك المفتاح بيده أولاد عثمان بن طلحة إلى يومنا هذا.

٥- العدل مع الأبناء:

لقد كان النبي ص حريصاً على تحقيق العدل بين الأبناء، سواءً كانوا ذكوراً أو إناثاً، ولنا في ذلك حديثين روايا عن النبي ص، وهو يأمر بتحقيق العدل بين الأبناء.

الأول ما روي عن الثعمان بن بشير رضي الله عنهما أن آتاه أتى به رسول الله ص فقال: إني نحْلُتْ ابْنِي هذَا غُلَامًا كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَ: "أَكُلَّ وَلَدَكَ نَحْلَتَهُ مِثْلَ هَذَا؟" فَقَالَ: لَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَأَرْجِعْهُ"^(٤).

والثاني فيما روى البيهقي عن أنس ٢ أن رجلاً كان جالساً مع النبي ص ف جاءه بني له فأخذته فقبله وأجلسه في حجره، ثم جاءت بنتيه له فأخذتها وأجلسها إلى جنبه فقال النبي ص: "قما عدلت بينهما"^(٥).

٦- العدل في المزاح:

لقد كان النبي ص عادلاً حتى في المزاح، حيث روى أبو يعلى في مسنده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أتيت النبي ص بحريرة قد طبختها له - أي أنها أتقه بنوع من الطعام -، فقالت لسودة والنبي ص بيني وبينها: كلي، فأبكيت. قلت: لتأكلين أو لأطْبُخَنَّ وَجْهَكَ، فأبكيت، فوضعت يدي في الحريرة، فطليت وجهها، فضحك النبي ص، فوضع بيده لها، وقال لها: الطخي وجهها - أي أنه وضع من تلك الحريرة في يده لسودة لتلطخ وجه عائشة (رضي الله عنها) -، فلطخت وجهها، فضحك النبي ص لها^(٦).

إن هذا الموقف من النبي ص ليدل على مدى عدله ص بين زوجاته (رضوان الله عليهن)، فكما أن أم المؤمنين عائشة قامت بتلطيخ وجه أم المؤمنين سودة بنت زمعة، أعن الرسول ص سودة على تلطيخ وجه عائشة، بأسلوب لطيف، وكأنه يقول: لها هذه بتلك، دون أن يترك هذا التصرف منه ص في النفوس شيئاً بين زوجاته.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ق ٢، ص ٤١٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٣) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب (الرياض: د/ت)، ج ٥، ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٤) مسلم، ابن الحاج أبو الحسين الشاشي النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فوزاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت: د/ت)، ج ٣، ص ١٤٤١؛ ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فوزاد عبد الباقي دار الفكر (بيروت: د/ت)، ج ٢، ص ٧٩٥.

(٥) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت: د/ت)، ج ٦، ص ٤١٠.

(٦) الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنعن الفوائد، دار الفكر (بيروت: ١٤١٢ هـ)، ج ٤، ص ٥٧٨؛ المناوي، محمد عبد الرؤوف، فرض القدير، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٤)، ج ١، ص ٤٤١؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الشمائل الشريفة، تحقيق: حسن بن عبيد باحبيشي، دار طائر العلم للنشر والتوزيع (دم: د/ت)، ص ٢٣٥.

فعن أنس أنه قال: "أهدت بعض أزواج النبي ص إلى النبي ص طعاماً في قصعة، فضربت عائشة القصعة بيدها، فألقت ما فيها، فقال النبي ص: طعام بطعم، وإناء بإناء"^(١).

٧- العدل في معالجة الأخطاء:

إذا كان النبي ص عادلاً في التعامل مع من أحب أو مع من عاداه أثناء الحكم، فإنه كذلك كان يتعامل بمنطق العدل لا بمنطق الغضب، مع المخطئ، وهذا الذي يبدو جلياً في طريقة تعامله ص الصحابي حاطب بن أبي بلتعة ٢ حين وقع في خطأ فادح، عندما أرسل إلى مشركي مكة سراً يعلمهم بنية النبي ص وعزمها على فتح مكة، فلم يعاقبه النبي ص كما توقع بعض الصحابة، ووضع في اعتباره نية حاطب التي لم تكن تتوبي المكر بالنبي ص أو المسلمين.

والقصة في صحيح البخاري عن علي رضي الله عنه أنه قال: "بعثتي رسول الله ص وأبا مرثد والزبير وكلنا فارس. قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين. فأدركتها تسير على بعير لها، حيث قال رسول الله ص فقلنا: الكتاب. فقالت: ما معنا من كتاب. فأندناها، فالتمسنا فلم نر كتابا. فقلنا: ما كتب رسول الله ص، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأيت الجد، أهوت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأحرجته، فانطلقت بها إلى رسول الله ص، فقال عمر: يا رسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين. فدعني فلأضرب عنقه. فقال النبي ص: ما حملك على ما صنعت؟ قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله ص، أردت أن تكون لي عند القوم بد، يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله بها عن أهله ومالي. فقال ص: صدق ولا تقولوا إلا خيراً، فقال عمر: إنه قد خان الله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه. فقال: أليس من أهل بد؟ لعل الله اطلع على أهل بد فقال: اعملوا ما شتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم"^(٢).

لقد كان الصحابة (رضي الله عنهم) غاضبين أشد الغضب من موقف حاطب، ويريدون له عقاباً ليكون عبرة لغيره، ولكن النبي ص بلمسته العادلة، علمهم ألا يأخذهم الغضب بعيداً عن العدل حين يعالجون الأخطاء غير المبيئة، وأن يوازنوا بين حسنات الناس وسيئاتهم، بين أعمالهم الكريمة وبين أخطائهم.

هذا المنطق في العدل قد لا يتبنّيه الكثيرون في خضم الحياة، ولكن ما أحوج الناس إليه في علاقاتهم الإنسانية بشتى أنواعها، بين الزوجين، وبين الآباء وبنائهم، بين المعلم والمتعلم.

٨- العدل مع الأعداء:

إذا كان الحب عند رسول الله ص لا يجعله يحيط عن الحق لحساب من يحب، فإن العداوة كذلك لا يمكنها أن تؤثر على عدل رسول الله ص، فهو أعدل البشر حتى مع أعدائه، وهذا المنهج أقره الله تعالى بقوله: {يأيها الذين آمنوا كونوا قومين الله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شتان قوم على ألا تعدلوا هو أقرب للنقوى، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون}^(٣). وقد ذهب المفسرون إلى أن معنى هذه الآية، مخاطباً المؤمنين، أن لا يحملنكم بغض أقوام على ترك العدل، فإن العدل واجب على كل أحد، في كل حال^(٤).

وقد اختلفت الروايات في سبب نزول هذه الآية إلى ثلاثة أقوال وهي:

أولاً: أنها نزلت من أجل كفار قريش^(٥)، حيث ذكر الماوردي في تفسيره رواية أن رسول الله ص كان بالحدبية وأصحابه حين صدّهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم أناس من المشركين من أهل

(١) الترمذى، محمد بن عيسى أبو عيسى الس资料ى، سنن الترمذى، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي (بيروت: د/ت)، ج ٣، ص ٦٤٠.

(٢) صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٤٦٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٤) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقى، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامه، ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع (دم: ١٩٩٩)، ج ٢، ص ١٢.

(٥) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٢، ص ٣٠٧.

المشرق، يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي ص: نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١).

والثاني: أن قريشاً بعثت رجلاً ليقتل رسول الله ص، فأطلع الله نبيه على ذلك، ونزلت هذه الآية، والتي بعدها، هذا قول الحسن^(٢).

والثالث: أن النبي ص ذهب إلى يهود بنى النضير يستعينهم في دية، فهموا بقتله، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد، وقتادة^(٣).

وفي نموذج آخر يظهر فيه مدى عدالة النبي ص حتى مع أشد أعدائه، ذكر ابن إسحاق أن أحد الأنصار وهو مسلمة بن سلامة، قال للناس الذين خرجنوا لتهنئة الرسول ص بالنصر الذي حققه على مشركي مكة في معركة بدر في السنة الثانية للهجرة: "ما الذي تهنئوننا به؟ فواه ان لقينا إلا عجائز صلعاً كالبدن المعلقة فخرناها، فتبسم رسول الله ص، ثم قال: أي ابن أخي، أولئك الملاء"^(٤). ويقصد به الأشراف والرؤساء في مكة الذين قتلوا على يد المسلمين في معركة بدر.

وقد ذكر الواقدي أن النبي ص أجابه بقوله: "يا ابن أخي، أولئك الملاء، لو رأيتم لهم، ولو أمروك لأطعهم، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرته، وبئس القوم كانوا ذلك لنبيهم"^(٥). هكذا كما يلاحظ فإن النبي ص كان منصفاً حتى مع أعدائه، ولم يغنم حق أحد، أو يبخس مكانتهم حتى وإن كانوا من ألد أعدائه، وهو ينصفهم ويدرك لهم أقدارهم وهو في ذروة إنتصاره عليهم.

الخاتمة

في الختام نلخص لأبرز النتائج التي توصل إليها البحث فيما يأتي:

١. أن كلمة العدل وردت بصيغة ومعانٍ متعددة في اللغة العربية، وقد تصل على عشرين معناً
٢. هنالك ثلاث تعريفات للمكي والمدني ذكرتها كتب علوم القرآن الكريم، وهي، أن المكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة، وهو المشهور، إن هذا التعريف يراعي الترتيب التاريخي، وهو المنهج المتبع في هذه الدراسة، لذا سنعتمد.
٣. من أبرز معانٍ العدل الأخرى: الإنفاق، والمساواة، والإستقامة في الحكم، والتوسط، والكيل، والمثل أو المثيل وهو الشريك، والقيمة، والفدية، والجزاء والفرضية والنافلة، كذلك هناك الكثير من المرادفات الأخرى التي تعطي ذات المعنى والدلالة التي تحملها كلمة العدل، ولعل أهمها: (قسط، قصد، وسط، حصة، ميزان) وغيرها.
٤. المعنى الإصطلاحى لـ(عدل) أنه الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفرط، وفي اصطلاح النحوين خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغة أخرى، وفي اصطلاح الفقهاء من اجتنب الكبار ولم يصر على الصغار وغلب صوابه، كما هو واضح فإن المعنى الإصطلاحى للعدل يختلف بإختلاف التخصصات، إذ هو يعني في اصطلاح النحوين شىء يختلف عن معناه لدى الفقهاء، وهذا أمر بديهي بالنسبة للتعريف الإصطلاحى لأى كلمة في اللغة العربية.
٥. لقد وردت كلمة (العدل) ومشتقاتها ٢٨ مرة في القرآن الكريم، منها ١٣ مرة في العهد المكي، و ١٥ مرة في العهد المدني.
٦. وردت مشتقات كلمة (عدل) في القرآن الكريم، بـ(١٢) صيغة، وهي: صيغة (يعدلون) ٥ مرات، و(تعديل) مرة واحدة، و(عدل) ٤ مرات، و(أعدلوا) مرتان، و(عدل) مرة واحدة، و(الأعدل) مرة واحدة، و(بالعدل) ٦ مرات، و(فعدلك) مرة واحدة، و(عدل) مرتان، و(تعديل) ٣ مرات، و(أعدلوا) مرة واحدة، و(عدل) مرة واحدة.
٧. أن صيغة (يعدلون) وردت خمس مرات في القرآن الكريم، وجميعها وردت في سور العهد المكي، معنى إثنان منها: تحقيق العدالة، وهما المرة الأولى والثانية التي نزلت بها هذه الكلمة في القرآن الكريم، كما تم بيانه في الجدول، أما في المرات الثلاث الأخرى فقد نزلت متتالية، وجاءت صيغة

(١) الماوردي، النكت والعيون، ج ٢، ص ١٩.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٢، ص ٣٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠٧.

(٤) ابن شاش، السيرة، ق ١، ص ٦٤٣.

(٥) الواقدي، محمد بن عمر، كتاب المغازى، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب (بيروت: ١٩٦٤)، ج ١، ص ١١٦.

- (يعدلون) فيها بمعنى: يشتركون، وهي بذلك تختلف اختلافاً جزرياً عن المعنيين السابقين لكلمة يعدلون، التي تعنى تحقيق العدالة.
٨. ان كلمة العدل، بمعنى تحقيق العدل والحكم بالعدل وقول الحق، قد جاءت في القرآن الكريم بصيغة فعل الأمر في الغالب الأعم.
٩. أنه ص لعدالته كان يعد نفسه مساوياً لغيره من الناس من دون أن يجعل لنفسه إمتيازاً على أحد.
١٠. أخيراً وليس آخرأ فقد كان النبي ص حريصاً كل الحرص على تطبيق العدل، بين الناس جميعاً دون استثناء، وأمر في أحاديث عديدة بذلك، وطبق العدل فعلياً، حيث كان ص عادلاً حتى في مسألة المزاح، بل حتى أنه كان عادلاً مع الأعداء، فلم يمْلأ أو يقبل بأن يحيد عن العدل والحق قيد أنملة.